«ان هذه الحدود هي بالنسبة [إلى الصهيونيين] جبل الشيخ... مع الاراضي المحصورة بين راشيّا وصيدا كمقدمة، وقناة السويس وشبه جزيرة سيناء من الجنوب، والجزيرة العربية من الشرق، والبحر المتوسط من الغرب»[٣٧].

اما الصحف العربية الكبرى، ناهيك عن الصغرى التي لا تشترك في وكالات انباء اجنبية، فان النشاط الصهيوني في اسطمبول والدول الاوروبية، على سعته، لم يحظ منها الا باشارات عابرة. وحتى مؤتمر بازل لم تنشر عنه الصحف الا اقل القليل. من ذلك ان «المقطم»، وهي كبرى هذه الصحف، نشرت في ٢٣/١٠/١٨٩٧، رسالة لمراسلها في باريس تتحدث عن المؤتمر الذي عقده الاسرائيليون في سويسرا، حيث اجتمع ـ وفق رسالة المراسل ـ ما يزيد على مئتي مندوب «للمفاوضة في مشترى اراض فسيحة وقرى كثيرة في فلسطين وبجوار اورشليم في الدولة العلية وجعلها مملكة اسرائيلية مستقلة تحت سيادة الحضرة الشاهانية، عاصمتها القدس الشريف»[٣٨]. وقد افادت الرسالة بان المؤتمر «ختم اعماله بما مفاده ان الحزب الصهيوني يدأب في انشاء وطن للاسرائيليين في فلسطين تضمنه شرائع وثيقة؛ ولبلوغ هذه الغاية قرر مساعدة الفلاحين والصناع اليهود على المهاجرة الى فلسطين وعلى التكافل والاتحاد. وقد عين لجنة في فيينا وفروعاً لها في عواصم اوروبة، وفي نيته ان ينشئ بنكاً عظيماً لمساعدة اليهود على المهاجرة الى فلسطين وسورية»[٣٩]. وفيما تخلو الرسالة من اي روح معارضة للمشروع الصهيوني هذا، يتحدث المراسل، بحياد تام، مستبعداً امكان تحقيق المشروع «لأن المسيحيين لا يرضون ان يبيت بيت المقدس في ايدي اليهود»، ومذكراً بان «للدول [المسيحية] حق الاعتراض على الباب العالي اذا أجاز ذلك البيع»، ومتنبئاً بان اليهود «ربما اكتفوا بتوسيع نطاق مستعمراتهم هناك، واقلعوا عما يسهل، فكراً وقولاً، ويصعب، او يستحيل، فعلاً»[٤٠].

وبعد ذلك بستة شهور، نشرت صحيفة كبرى اخرى هي «المقتطف» رسالة لاحد القراء من فرانكفورت يستفهم فيها عن تلك الحركة القائمة بين يهود النمسا والمانيا وانكلترا واميركا وهي الحركة الصهيونية. وتتضمن الرسالة نتفاً مما قالته صحف اوروبية عن هذه الحركة، من نوع القول «ان غاية الصهيونيين انشاء مساكن في فلسطين لليهود المضطهدين في روسيا وبلغاريا ورومانيا وبلاد الفرس والمغرب، وذلك باذن الدولة العلية وكفالة الدول الاوروبية وتحت حمايتها، ومرادهم تعمير اراضي فلسطين بالفلاحة والصناعة»[٤١]. ثم يذكر القارئ ان الصحف التي ينقل عنها قد استحسنت الرأي وقالت انه قريب المنال لأن الدولة العثمانية ترغب في عمار البلاد، والدول الاوروبية لا تمنع فقراء اليهود في بلادها من الانتقال الى البلاد الشرقية لكي ينشروا فيها المعارف ويوسعوا التجارة والصناعة، ثم يسأل عما اذا كانت الصحف في مصر وسوريا اهتمت بهذا الامر، كما يسأل عن امكانية تحققه. ويُظهر رد «المقتطف» على رسالة هذا القارئ ما سبق ان أشرنا اليه من ان الصحف العربية لم تعتن، عناية كبيرة، بالشأن الصهيوني، بل «ذكره بعضها مع سائر الاخبار التي يذكرها»، كما يقول رد «المقتطف»[٤٢]. ثم ينحو رد «المقتطف» منحى «المقطم» في التنبؤ بصعوبة تحقق المشروع، لأن «الدولة العثمانية لا ترضى بذلك عن طيب نفس»، لينتهي الى الحكم بان «الاقرب للتحقيق هو السعي لدى حكومات روسيا ورومانيا وبلغاريا في اصلاح شأن اليهود»[٤٣]. اما اول بحث باللغة العربية عن «اليهود في فلسطين ومستعمراتهم»، فقد نشره بهذا العنوان الأب اليسوعي